حديث فارغ

بقلم الاستاذ صدر الدين أحمد

لا بد المرء يظن انه اصبح هو « شيئا » في نظر بعض الناس حتى يخيل اليه من فوره بأنه اكبر من حقيقته وبأنه عملاق من الاهمية وخطر الشأن ، وربما يلح عليه هذا الظن المستكبر ثم يدأب يلح عليه يوما بعد يوم حتى يجعله يوقن انه تبوأ شأواً من السمو يمنعه ان يعانيش الهيأة الاجتماعية التي تحوي الدهماء إلا بمقدار ما يصون مقامه ان يتلوث بحقارتهم وتفاهة سمعتهم . ويستوي في ذلك جل الموظفين المتربعين عندنا على ارائك الحل والعقد فأنت اذا دخلت في اية دائرة حكومية — مهما كانت صغيرة او خطيرة — لن تعدم ان تشاهد فيها اشخاصا يداولون وظائف ارفع من قابلياتهم وكفايات انفسهم ، ويشهد الله انهم ، مع ذلك ، يطمعون كل مطمع في التسلل الى المناصب الضخمة التي لم يصلحوا لها مطلقا ولكنك لو قعدت لهم بالمرصاد لرأيتهم يتسللون اليها فعلا ، بكل حذق ومكر ، ميضاعفون لها الفوضى على التوكيد ، ومتى اتيح لغير الاكفاء ان يستحوذوا على المناصب لدى الدولة فقد اتيح للشعب حينئذ ان يرتاب في سلوك الحكومة ، وان يركن الى الخيانة قبلما يندم على انه لم يتكيف مع ظروف الانحطاط !

وهل تدري من اين تنشأ هذه العلة الشعواء ؟

انها تنشأ ، ولا شك ، من تعطيل الكفاءة ان تتقدم باصحابها الى موضع الاستحقاق .. وليس هذا التعليل بمستنكر حينما تغدو الرشوة زكاة الوظائف ، وحينما تغدو « الوساطة » نوعا من الثقة والمساواة . ولولا ان هذا هو الواقع بعينه لاستحال عليك ان تلمح بشعار التخاذل قائما فيما بين الشعب وحكومته وفيما بين الحكومة وموظفيها وفيما بين الشعب وسائر طبقاته قد تكون مقارفة الرشوة نافعة حين لم يكن منها محيص في مثل احوالنا المستهانة ! وقد تكون مقارفة الوساطة ايضا — في ساعة الضرورة — تجدي ما لا يجديه الاباء من العوض والكفاف وشروى النقير ! ولكن لا ينبغي ان يكون معنى هذا او معنى ذاك ترك الحبل على الغارب ، ولا ابقاء الاحوال على ما قد كانت عليه او على مالا تزال كائنة عليه من غضاضة وتدهور ، وانما يجب على الحكومة ، وعلى الحكومة وحدها ان تشترع مشروعا جريئا لتطهير دوائرها من اكثر الموظفين غير الاكفاء ، ومن اكثر المستخدمين غير الاكفاء ، ولئن هي لم تصنع هذا الصنيع الحاسم ، ولئن هي لم تحققه اليوم قبل الغد ، فلسوف يتسع لديها الخرق شيئا شيئا حتى يتعذر عليها امكان رتقه الا بقدرة قادر

اننا ، في الحقيقة ، اغنياء بالرجال الاكفاء المتهيئين من تلقائهم لخدمة الشعب والوطن .. وناهيك بجمهور المحامين وخريجي الثانويات وغيرهم ممن يجدر ترشيحهم جميعا لاستيعاب معظم الوظائف الحكومية بدلا من اشباه الاميين الاغرار ولعل من الخير الناجز ان يقع ذلك في هذا الزمن السانح ، في هذا الزمن الذي هو نفسه يقدم براجح التوجيه للامم كلها ان تبدأ باصلاح امرها من الداخل السقيم .. وعند ما يأتي الاصلاح هذا من ههنا فان من غير المعقول ان لا يبدأ هو يتسع بطبيعته لجميع الوان الارتقاء ، ولجميع اشكال النزاهة في كل صغيرة وكبيرة .. في كل صوب وحدب . في كل وظيفة وموظف

ومهما يكن من شيء فان الحكومة التي لا تملك ان تجعل شعبها في طمأنينة مستأنفة ولا تقتدر ان تعيد حياته اليوم اسعد منها امس ، وحياته غداً اسعد منها اليوم لهي حكومة غافلة عن مآتي عجزها طبعاً وما يأتي عجزها الا من عجز الموظفين غير الاكفاء الذين في اكنافها يمرغون — حيث يحاربون الاخلاص باخلاص ، ويخونون الامانة بامانة ، ويرقصون للفوضى اذ تتفاقم في طول البلاد وعرضها

النجف — صدر الدين احمد